دور جهود وسياسات الشيخ زايد في تنمية أوضاع المرأة الإماراتية

«رؤية تحليلية»

د. أميمة محمد السيد أبوالخير ●

ملخص الدراسة :

سعت هذه الدراسة لرصد وتحليل جهود وسياسات الشيخ زايد لتنمية أوضاع المرأة الإماراتية. وحاولت الدراسة أن تسلط الضوء على العلاقة الوثيقة والارتباطية بين البنية الذهنية ورؤية العالم للشيخ زايد والنهج الذي اخذه لتنمية وتطوير أوضاع المرأة الإماراتية بالمجتمع . فركزت الدراسة على عدة مفاهيم أساسية للشيخ زايد شكلت فلسفته في الحياة مثل : الإنسانية ، السعادة، العدل ، المساواة ، الديموقراطية ...الخ .

وأوضحت الدراسة أن من أهم خطوات الإصلاح التي اتخذها زايد لتنمية أوضاع المرأة وأتت ثمارها بالفعل هي حقوق المرأة في الدستور ، تشجيع وتحفيز المرأة للخروج للتعليم والعمل، مشاركة المرأة في دوائر صنع القرار واتخاذه ، التوسع في إنشاء الجمعيات والاتحادات النسائية. وكشفت الدراسة أن كثير من الحقوق التي تنعم بها المرأة المعاصرة اليوم، بل والاستراتيجيات والخطط المستقبلية التي تستهدف المرأة مثل رؤية الإمارات بأن تكون دولة الإمارات من أفضل

● استاذ علم الاجتماع المساعد – جامعة الشارقة

الدول في مؤشر التوازن بين الجنسين بحلول عام 2021 ، أو أن تكون أفضل دول العالم بحلول عام 2071 ، كل ذلك يعد حصاداً لما زرعه زايد بالأمس ، وتماشياً مع نهجه ورؤيته .

الكلمات المفتاحية : المرأة الإماراتية – الشيخ زايد آل نهيان – تنمية أوضاع المرأة

مقدمة :

بعين فاحصة تنظر إلى الإمارات المعاصرة اليوم والإمارات منذ نصف قرن فقط لا غير ، سنجد نهضة حضارية ثقافية تنموية اقتحمت جميع المجالات ، وانعكست على مواطني الدولة ، بحيث أصبحت دولة الإمارات من دول الرفاه الاجتماعي ، وتنافس في ذلك الدول المتقدمة التي سبقتها في التطور والتنمية بعدة قرون ، فأصبح المواطن الإماراتي ينعم بمعدلات رفاهية عالمية . وهذه النقلة الحضارية قد يصعب على بعض الشعوب تحقيقها على مدى قرون ، ويعود الفضل في ذلك إلى جهود المغفور له بإذن الله تعالى الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رحمه الله بما عرف عنه من حكمته وبعد نظره وصدق بصيرته ، فأرسى قواعد البناء الثقافي والاجتماعي والسياسي.

وهذا البحث معني بجهود الشيخ زايد لتنمية المرأة الإماراتية والنهوض بها ، ولكن لا يمكن أن يتم ذلك بمعزل أو دون الإشارة إلى حركة التنمية والتطور بشكل عام التي شهدها مجتمع الإمارات خلال الخمسة عقود الأخيرة . وكذلك لتتبع الإنجازات التي تمت على يد الشيخ زايد للمرأة الإماراتية ، وحصدت ثمارها ولازالت تحصدها حتى اليوم .

إشكالية الدراسة :

تبدو الحقيقة جلية وواضحة وضوح الشمس أن السياق الاجتماعي الاقتصادي والأوضاع الثقافية السياسية التي بدأ فيها الشيخ زايد مسيرة التنمية والإصلاح بشكل عام ، والنهضة بشؤون المرأة بشكل خاص لم تكن مواتية ولا مشجعه على الإطلاق ، بل على العكس تماماً كانت هناك العديد من العوائق والحواجز الصلدة التي تقف أمامه ، وخصوصاً فيما يتعلق بقضايا المرأة . لذا تحاول هذه الورقة أن تكشف عن المقومات والأسس التي امتلكها زايد والتي جعلته يسلك مسلكاً مغايراً ومختلفاً عن أقرانه ، يتكبد فيه كثيراً من المشقة والمصاعب ، ولكن بشغف لتحقيق نموذج تصوري لمجتمع أفضل تنعم جميع فئاته من نساء وأطفال وشباب ورجال وكبار سن بثمار التنمية التي يسعى من خلال حكومته تنفيذها على أرض الواقع بعدل ومساواة بين هذه الفئات .

إذن تفترض هذه الورقة علاقة وطيدة بين البنية الذهنية للشيخ زايد ورؤيته للعالم أو فلسفته

في الحياة وبين تناوله لقضايا المرأة . بمعنى أدق ما كان للمرأة أن تحظى وتنعم بإنجازات وثمار التنمية في عهد الشيخ زايد إلا لأن هذا الرجل امتلك ذهنية وطريقة تفكير مختلفة عن من سبقوه أو عاصروه ، وهو ما تحاول أن تركز عليه هذه الورقة .

أهداف الدراسة :

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن :

1. تشكل البنية الذهنية للشيخ زايد .
2. المفاهيم السياسية التي شكلت رؤية العالم للشيخ زايد .
3. جهود وسياسات الإصلاح والتنوير التي استهدفت المرأة على يد الشيخ زايد .

أهمية الدراسة :

تكمن أهمية هذه الدراسة في أنها تعد توثيقاً لحركة النهوض بالمرأة الإماراتية ، حيث إن السياسات التي استهدفت المرأة في عهد الشيخ زايد متناثرة بين سجلات ووثائق وكتابات المؤرخين والسياسيين، لكن تجميع هذه الجهود والكشف عن مدى أهميتها في تنمية أوضاع المرأة بالإمارات يضاف إلى رصيد حقل دراسات المرأة الإماراتية . وهذه النوعية من الدراسات تساعد على التقويم والمراجعة من أجل مزيد من التطوير واستمرارية الأداء الفعال .

منهج الدراسة :

تعد هذه الدراسة من الدراسات النظرية التي اعتمدت على المنهج التاريخي فكان مصدرها في الحصول على البيانات الكتب والمراجع والوثائق والسجلات وخطب وأقوال الشيخ زايد.

وفيما يلي نحاول أن نستعرض المحاور الرئيسة لهذه الدراسة على النحو الآتي :

أولاً : البنية الذهنية للشيخ زايد :

البحث حول تشكل البنية الذهنية للشيخ زايد مهم للغاية في هذا الصدد ، فكيف لرجل عاش لسنوات في مجتمع بدوي قبلي ذكوري ، يتسم مجتمعه آنذاك بالجهل والتخلف ، بالإضافة إلى القيود التي فرضها الاستعمار البرتغالي والبريطاني لسنوات طويلة على مجتمعه ، كيف لهذا الرجل أن يناضل ويحارب من أجل أن يقود قاطرة التنوير والتغيير والتقدم للمجتمع بشكل عام ؟ وللمرأة بشكل خاص؟ فلا شك أن الطريق لم يكن ممهداً، ولا مفروشاً بالورود إنما مليء بالعقبات والصعوبات وبخاصة بقضايا المرأة . حيث تقف أمامه عقبة تشكل صخرة كأداء صلدة وراسخة ألا وهي العرف والعادات والتقاليد .

لذا عملية البحث في تشكل ذهنية هذا الرجل أمر جوهري لنتعرف على ما الذي جعله يسلك مسلكاً يخالف به المألوف والمعتاد ، لابد أنه يمتلك ذهنية مغايرة تماماً ومختلفة عن ذهنية أقرانه في ذلك الوقت . فبداية لنقر أنه بدوي اكتسب كل صفات رجال البدو الإيجابية كالذكاء، والاستيعاب، وقوة التحمل، والصبر، والحكمة، والنظرة البعيدة، وحبه للصحراء وعادات الصحراء وحبه لهوايات البدو، فيهوى الشعر، وصيد الصقور، والفروسية، ويحب الجمال وخصوصاً العمانية ، ويجيد استخدام البنادق استخداماً ممتازاً . [1] فتظهر البيئة كمؤثر فاعل وقوي على شخصية الشيخ زايد، فالبيئة لها دور كبير في أن تغرس في ابنائها العديد من الصفات والخصائص التي تجعلهم يختلفون عن أبناء البيئات الأخرى، ومهما كانت البيئة متطورة ومزدهرة أو تقليدية وبسيطة تلعب هذا الدور .

للبيئة التي ولد فيها الشيخ زايد وترعرع فيها الأثر البالغ في تشكيل ذهنيتة وتحديد ملامح شخصيته. فلقد كان ابناً لأحد العائلات التي لها باع طويل في المشيخة وإدارة شؤون الأفراد، فمن الصغر حرص والده على تعليمه أصول الدين وتعاليمه من خلال إرساله إلى كتاتيب لتعلم أصول الدين والقراءة والكتابة حيث كانت لا توجد مدارس آنذاك كما أنه استلهم حكمته وخبرته من خلال حضوره لجلسات والده والاستماع إلى ما كان يدور فيها من أحاديث ومناقشات ، ويتابع طريقة والده في حل المشاكل والخلافات التي تظهر بين القوم ، وكان يتأمل فيها ويشارك في بعض الأحيان في إدارة المناقشات على الرغم من صغر سنه ، وكان محباً للاطلاع شغوفاً بمعرفة كل جديد. وكان من أهم سماته حبه للآخرين ومساندة الضعيف والكرم والتواضع . [2]

و مثل هذا التكوين يمهد لشخصية مثقف ذي بنية ذهنية متفتحة ومرنة في الوقت نفسه. الشغف من سماتها الرئيسة فالشغف للعلم والمعرفة والتعطش لهما. يعد الطريق الصحيحة لتشكيل وعي حقيقي لإدراك الواقع ، ومشكلاته الحقيقية ، ويبعد به كل البعد عن الوعي الزائف ، ومن ثم تصبح الذهنية العقلية شغلها الشاغل التنوير ، وبالفعل كان الشيخ زايد هو رائد حركة التنوير والإصلاح والتقدم بمجتمع الإمارات بشكل عام وبالمرأة بشكل خاص .

ثانياً : المفاهيم الأساسية التي شكلت رؤية العالم عند الشيخ زايد :

رؤية الإنسان للعالم تتشكل وفقاً لاعتناقه وتمسكه بمجموعة من المبادئ والأفكار والقيم والمفاهيم التي لا تتجزأ فكلها تنتظم في منظومة واحدة . ولا يمكن فهم مواقف الشيخ زايد من قضايا وهموم المرأة ، وجهوده الحثيثة لتنميتها بمعزل عن هذه المنظومة ، وتحديداً بمعزل عن

هذه المفاهيم التي تشكل الأصول الفكرية التي حددت موقفه ورؤيته للعالم بشكل عام وللمرأة بشكل خاص . وأهم هذه المفاهيم على سبيل المثال لا الحصر ما يلي :

1 - مفهوم الإنسانية :

جوهر وفلسفة الشيخ زايد لا يمكن أن تحلل بعيداً عن هذا المفهوم لأنه محور فلسفة حكمه وأساس أي عملية حضارية قام بها . فجوهر المفهوم الإنساني في فكر الشيخ زايد ينطلق من بناء الإنسان وتكريس المقدرات والإمكانات كافة من أجل هذا البناء . لأن بناء الإنسان هو عماد أي حضارة فالإنسان هو غاية أي تطور ، ويجب أن تسخر الثروات والإمكانيات في سبيل ترفيهه وعونه على تحقيق حياة كريمة لائقة ترتقي بعقله وفكره ، فضلاً عن توفير المقدرات التي تخلق جو العلم والتحضر والتطور .

فالإنسان هاجس الشيخ زايد وشغله الشاغل بكل حقوقه وواجباته ، وأدرك إدراكاً عميقاً أن الإنسان هو الأهم في أي خطوة في مشروع بناء الدولة الحديثة والحضارة والمجتمع . فلقد أراد لهذا الإنسان كل الخير والسعادة فيقول « إن السعادة ورفاهية المواطنين أمانة في عنقي» وعندما نتعمق في مفهوم الإنسانية في فكر الشيخ زايد نجد تشابكاً قوياً بين إنسانيته وإحساسه بإنسانية الآخرين، إذ تكمن سعادته الحقيقية في رؤية أبناء مجتمعه سعداء ينعمون بالخير والثروة والعزة، وكأن سعادته حاكماً مرتبطة بسعادة شعبه . [3]

وهنا بيت القصيد كيف يمكن لشخص يتشكل لديه مفهوم الإنسانية بهذا السمو أن تكون نظرته ومواقفه من المرأة ؟ بالتأكيد ستكون منصفه وموضوعية ، لأن القيم والمبادئ لا تتجزأ كما سبقت الإشارة إليها. فالبعد الإنساني للشيخ زايد لم يكن على المستوى المحلي أو الإقليمي فحسب بل على المستوى العالمي، فتلك شهادة فيكتور ليبيديف مدير وكالة إيتادتاس الروسية السابق يقول: لم تكن مساعدات سمو الشيخ زايد للدول والشعوب الفقيرة قاصرة على أوقات الشدة ، أو مجرد شاحنات من الكساء والغذاء والدواء، وإنما توجه إلى إنشاء المدارس والمعاهد، وبناء دور الأيتام والجامعات التي تخرج فيها عشرات الآلاف في أماكن متفرقة من العالم « [4] لذا كان يتردد دائماً في أقواله المأثورة : «الإنسان هو أساس أية عملية حضارية» (5) .

2 - مفهوم السعادة :

لعل مفهوم السعادة مرتبط ارتباطاً وثيقاً بمفهوم الإنسانية وثمة تداخل بينهما، لكن آثرنا الحديث عن رؤية الشيخ زايد لهذا المفهوم ولو بإيجاز لشدة إيمانه به. فيشير بعض الباحثين إلى

أن الشيخ زايد عندما تولى مسؤوليته التاريخية وضع هذا المفهوم كمبدأ نصب عينيه ، لدرجة أن كلمة السعادة وإسعاد الآخرين ترددت كثيراً في خطبه وتصريحاته بين الحين والآخر .

فلم يكن الشيخ زايد مقتنعاً بأن تطوير الحياة على أرض بلاده والانطلاق بالمواطن من أسر الماضي وقيوده إلى آفاق المستقبل ، وإنجازاته هو الغاية والهدف ، بل وضع إسعاد أبناء وطنه معياراً ومقياساً يحدد به مدى النجاح القومي الذي حققه [6]. فكان يؤمن أشد الإيمان بحق الإنسان في السعادة والتنعم بالثروة ، لأن هذه الثروة هي هبة سخرها الله لخدمة عباده فيقول في إحدى خطبه السياسية : « يجب علينا أن نعمل لخدمة الإنسان وإسعاده» [7] .

3 - المساواة والعدل :

إنصاف المرأة في أي مجتمع من المجتمعات وفي أي مرحلة من المراحل يتوقف ويتأسس إلى حد كبير على مفهومي المساواة والعدل من قبل المجتمع والقيادة السياسية ، لأن جوهر المشكلات والعقبات التي تواجه المرأة في أي مجتمع ترجع إلى انتفاء هذين المفهومين . لذا نجد إنصاف وجهود الشيخ زايد التي بذلها من أجل إنصاف المرأة الإماراتية وتنميتها كانت وراء قاعدة راسخة لديه تقوم على إيمانه الشديد بأهمية اتباع السياسات التي تحقق العدل والمساواة في المجتمع.

فيشير المؤرخون إلى أن الشيخ زايد كان يضع العدل والمساواة غايةً يسعى بكل قوته لتحقيقها في مجتمعه فيقول: «إن الإنسان يجب أن يشعر بالعدالة» وكان يعني هنا العدالة التي تشمل كل إنسان، وتغطي كل المجالات والمستويات الحياتية. ويتجسد ذلك في إصرار الشيخ زايد على بناء دولة الرعاية الاجتماعية ، ليس هذا فحسب وإنما حمل الشيخ زايد نفسه المسؤولية الكبرى عن تحقيق العدل والمساواة بوصفه حاكماً للدولة فيقول «إنني أول من تقع عليه مسؤولية رعاية الوطن والمواطن» . لذا سعى لإنشاء كثير من المؤسسات بالدولة التي تسعى إلى خير الإنسان على سبيل المثال لا الحصر : القروض الميسرة ، منح صندوق الزواج ، فرص عمل مؤمنة، مؤسسات تعليمية مجاناً ، ...إلخ . ويرقى الشيخ زايد إلى مستوى أعلى في العدل والمساواة وهو محاسبة النفس ومعاملتها القواعد والقوانين نفسها التي يحكم بها الشعب حيث يقول : «إن القائد يجب أن يؤمن بأنه الأمين على الشعب وثرواته، وأن يطبق على نفسه ما يطبقه على شعبه» . وسياسات زايد أكبر تجسيد لمبدأ العدل والمساواة فعلى سبيل المثال لا الحصر : قرار في الخامس من أبريل 1998 بشأن توفير المساكن والمزارع للمواطنين في مختلف أنحاء الدولة . وهذه الإجراءات لم تكن لجعل

المواطن أكثر راحة ، بل كانت لزرع الطمأنينة في نفسه وتمليكه ما يجعله أكثر حرصاً على بناء هذا الوطن .[8] لذا نجده يقول : «إن واجبي هو توفير كل مقومات الحياة الكريمة لكل مواطن» إننا نبني المساكن والمدارس والمستشفيات ولا نبغي من ذلك إلا تحقيق وتوفير وسائل الراحة وكافة الخدمات بلا مقابل حتى يستطيع كل مواطن تحمل مسؤولياته وواجباته والشعور بأمنه على حاضره ومستقبله»[9]

4 - الشورى والديموقراطية:

لا ينفصل مفهوم الديموقراطية في العلوم السياسية الحديثة عن مفهوم الشورى في الإسلام لدى الشيخ زايد ، فكثير من الكتابات والمؤرخين أكدوا على التنشئة الدينية للشيخ زايد وإيمانه واتباعه لتعاليم الدين الإسلامي بما فيها مبدأ الشورى. فيقول الشيخ زايد : «إن حكم الشورى من عند الله ، ومن لم يطع الله فهو خاسر» . فهو يرى أن الشورى مبدأ إسلامي مهم ، فنجد أن الشورى والديموقراطية تتسقان مع أسلوبه في القيادة ، فهما من وجهة نظره مفتاح لاستنهاض الهمم وتحفيز الآخرين على العمل والمشاركة . فهذان المبدآن أساسا العملية السياسية لديه. ومن ملامح حرصه على مبدأي الشورى والديموقراطية لقاؤه الدائم والمتواصل مع المواطنين وبصورة مباشرة ، وفي أجواء ودية صريحة . وقد اعتمد سياسة الباب المفتوح ، وإزالة الحواجز بين الحاكم والمواطنين فيقول «أؤمن بضرورة مشاركة الشعب في تحمل المسؤولية ، وفي الشورى وفي الحكم» .

حيث كانت هذه المشاركة والاستشارة أو الشورى لهدف الوصول إلى الرأي الأقرب إلى الإجماع، والأكثر صوابية ، وبالتالي يجنبه ذلك الوقوع في الخطأ ، ويضمن له الوصول إلى الأهداف . وفي الموضوع نفسه نجد الشيخ زايد يقرر أن الديموقراطية في مجتمعه واقع معاش وليست مجرد شعار حيث يقول «الديموقراطية في دولة الإمارات ليست شعارات ، وليست مجرد نصوص في دستور ، إنها واقع عملي سواء على مستوى السلطة العليا للبلاد أو على المستوى الشعبي» .[10]

ولتمتع الشيخ زايد بدرجة عالية من الوعي أدرك أن تجذير الديموقراطية لابد أن يسبقه نقلة نوعية في عقلية المواطن ، شكلاً ومضموناً وفكراً وإبداعاً وتجلياً ، لذا ركز على التعليم والتثقيف الحضاري لأن الإنسان الأمي في ظل دولة القوانين ، غير قادر على معرفة حقوقه وممارسة واجباته بشكل فاعل. فكان الشيخ زايد على وعي بأن أول شروط الديموقراطية رفع مستوى

التعليم ، وتحقيق ديموقراطية التعليم ، ونشر العدل والمساواة لضمان فضاء رحب من الحرية تطرح فيه الأفكار بعقلانية وتجرد . والشرط الثاني تحقيق نمو اقتصادي حضاري ملموس، فالشعب في ظل الفقر والعوز لا يتجه إلى الديموقراطية ، فالحاجة إلى القوت تصبح في أعلى سلم أولويات المواطن . فالفقر يبعده عن التعليم وعن الانفتاح على الآخر ، وعن المشاركة في القضايا العامة ، وتنحصر اهتماماته في الذات وتوفير متطلباتها . لذا كان يسعى بكل طاقاته لتحقيق التقدم الاقتصادي ونهضة شاملة للمجتمع . (11)

وبيت القصيد هنا وهو ما يعنينا بخصوص قضية المرأة كيف لنا أن نتخيل مثل هذه العقلية التي تؤمن بالديموقراطية والشورى بهذا الحد ؟ فقد جعلهما الشيخ زايد قيماً ومفاهيم متجذرة ومتبلورة بوضوح لديه ، لذا فهو لا يمكن أن يفكر أو تسول له نفسه بأن ينحي نصف المجتمع (النساء) من العملية الديموقراطية . لأن هذا يضرب وبعنف قناعاته الفكرية والايديولوجية . لأن الديموقراطية بأبسط معانيها هي حكم الأغلبية أو الأكثرية فكيف يتحقق ذلك إذا استبعدنا نصف المجتمع من النساء ؟ لذا إيمانه بالديموقراطية والشورى لا ينفصل بأي حال من الأحوال عن إيمانه بقضية المرأة ، وسعيه الدؤوب لمنحها حقوقها كافة لتشارك وتصبح فاعلة في المجتمع .

فلا نستطيع أن نتصور أن رجلاً مثل الشيخ زايد يجور على حقوق النساء و بناؤه الفكري وقناعاته بل وخطبه تنصب وتتمحور حول الديموقراطية ، والشورى ، والحرية ، وحرية الصحافة، والمساواة، والعدل، ومسؤولية المواطن، والنقد، والصراحة، وسياسة الباب المفتوح، والتعاون.

5 - القدرة على استشراف المستقبل :

تشير الدراسات السوسيولوجية إلى أن المستقبل لا يتشكل من تلقاء نفسه بل من خلال جهود بشر يستهدفونه . والتفكير في المستقبل يفسح الطريق لطرح إبداعات تمثل قفزات لا خطية على مساراتنا كافة ، بحيث نبدأ من حيث انتهى الآخرون الذين سبقونا في هذا المضمار ، لا أن نتبنى خطوات السير ذاتها التي بدؤوا منها ، وذلك للتركيز على عناصر الفاعلية بدلاً من تشتيت الجهود . (12)

فاستشراف المستقبل يساعدنا على اكتشاف أنفسنا ومواردنا وطاقاتنا، وبلورة الخيارات الممكنة والمتاحة وترشيد عملية المفاضلة بينهما. فإننا نعيش اليوم في واقع بات فيه استشراف احتمالات المستقبل ضرورة ملحة في جميع الأمور، وعلى المستويات كافة . من أجل ذلك أصبحت الدراسات المستقبلية من الحتميات ، أي أنها صارت دراسات ضرورية لا يمكن الاستغناء عنها ولا

تجرى من باب الرفاهية أو التسلية الذهنية في الدول الغنية وحدها . بل إنها ضرورة للدول كافة على اختلاف حظوظها من الغنى أو الفقر ومن التقدم أو التخلف . [13]

و كان ما يمارسه الشيخ زايد طوال فترة حكمه محاولات دؤوبة لاستشراف المستقبل والتطلع إليه، لذا وصفه بعض المؤرخين بحدة البصيرة وبعد النظر والقدرة على استشراف المستقبل . لذا يشير أحد المؤرخين إلى أن الشيخ زايد يعد واحداً من الزعماء القلائل في العالم الذين يتصفون بالحكمة وبعد النظر . لما لعبه من دور بارز ومحوري في الساحات الإقليمية والدولية . [14]

ونجده في رحلته الأولى عام 1953 م إلى فرنسا وبريطانيا وكانت بهدف الانفتاح والاطلاع على العالم ، وبعدها ذهب إلى الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا ولبنان والعراق ومصر وسوريا وغيرها من الدول . يذكر الشيخ زايد الشعور الذي انتابه أثناء زيارته لمتحف باريس حيث قرر في ذهنه أن بلاده ستشهد يوماً مثل هذه المتاحف على أرضها. [15] وبالفعل تحقق ذلك بعدد كبير من المتاحف على أرض دولة الإمارات، لعل أحدثها وأضخمها متحف اللوفر بأبوظبي . ولهذه النظرة السديدة التي تتطلع لمستقبل أفضل ، وتسعى بكل جهودها لتحقيق ذلك فاز الشيخ زايد عام 1995 بلقب الشخصية الإنمائية على مستوى العالم ، وقد شارك في ذلك الاستطلاع أكثر من نصف مليون عربي من مختلف الجاليات العربية حول العالم . [16]

ومن هذا المنطلق ومن قدرته الفائقة على استشراف المستقبل أدرك على الرغم من قوة وصلادة رياح التقاليد والأعراف أنه لا يمكن أن يكون للإمارات مستقبل دون مشاركة المرأة فيه مشاركة فاعلة، وهذه القدرة على الاستشراف التي أتت ثمارها اليوم بأن تكون المرأة في الإمارات رئيسة للمجلس الاستشاري، ورئيسة للمجلس الوطني، وعضوة برلمان، ووزيرة، ورئيسة جامعة، وقاضية، وقائدة طائرة.

ثالثاً : خطوات الإصلاح والسياسات التي استهدفت المرأة على يد الشيخ زايد :

هناك خطى اُتخِذت واحدة تلو الأخرى ، وبعض الأمور والقضايا كانت تتطلب أن تسير وفقاً لخطوط متوازية وسريعة ومتلاحقة لتحقق الأهداف المرجوة منها . وكانت البداية بالدستور ، ثم نجد أهم مجالين تم بذل جهود مضنية لرفعة شأن المرأة الإماراتية وتمكينها ، وهما بالفعل المسؤولان الحقيقيان عن تطورها وتنميتها وهما التعليم والعمل . ومن خلال هذا المحور سوف نحاول أن نرصد بعض هذه الجهود والإسهامات التي قام بها الشيخ زايد واستهدفت تطوير ونهضة المرأة الإماراتية على النحو الآتي :

1 - الدستور :

الدستور هو الذي يشكل نظام الأمة وهو العمود الفقري لأي مجتمع من المجتمعات وهو المظلة التي تخرج من تحتها السياسات والتشريعات والقوانين، ويحدد شكل الدولة ونظام الحكم، فهو الناموس الذي ينظم حياة المجتمعات الحديثة ، وبالتحديد ينظم العلاقة بين المواطن والدولة والحقوق والواجبات المتبادلة بين طرفي هذه العلاقة .

وما كان للمرأة الإماراتية أن تنعم بالحقوق التي تتمتع بها اليوم دون أن ينص عليها الدستور، فالدستور هو الذي أعطى لهذه الحقوق شرعيتها ونفوذها وسلطتها، وإذا كانت هذه الحقوق خارج الدستور والقانون ستصبح في مهب الريح، وتتوقف على الأهواء الشخصية لكل ذي صفة أو مسؤول يمنحها حيناً ويحجبها حيناً آخر، أو تصبح هبة أو منحة تعطى إذا شاءت الظروف. ونظراً للمفاهيم الراسخة التي تحدثنا عنها سابقاً لدى الشيخ زايد المتعلقة بالإنسانية والعدل والمساواة والحرية والديموقراطية وبعد النظر واستشراف المستقبل. وضع الدستور بمواد محددة وواضحة تحمي المرأة الإماراتية وحقوقها ، وتمكنها وترفع من شأنها ، وتحجب عنها أي ظلم أو إجحاف مرت به في الماضي لترفع رأسها وهي تمارس هذا الحق لأنه بنص الدستور والقانون وليس هبة أو عطية .

وضع دستور الإمارات 18 يوليو 1971 ، وظل معمولاً بهذا الدستور المؤقت لمدة خمس وعشرين سنة حتى عام 1996 م، حيث أُلغي وأُعلن الدستور الدائم للدولة . [17] فكانت مرحلة تكوين الدولة وتشييد مؤسساتها الإتحادية وتكوين نهضتها الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية . مرحلة إنضاج للعلاقة بين الإمارة والاتحاد ، وبين المواطن واتحاده الجديد ، وتثبيت هويتها معاً . ولم تكن مرحلة البناء التي مرت بها الإمارات العربية سهلة ، لأنها ليست كأي مرحلة بناء ، إنها محاولة بناء دولة وتكوين مجتمع في آن واحد. [18] ويتكون دستور الإمارات من (152) مادة ويشتمل على (10) أبواب [19] . ولا مجال لاستعراض دستور الإمارات هنا لكن ما نود تسليط الضوء عليه هنا اهتمام دستور الإمارات بحماية المرأة والحرص على حقوقها . فحرص الشيخ زايد على أن تتمتع المرأة بالحقوق جميعها التي رسخها دستور الدولة ، وأقرتها المواثيق الدولية المتعلقة بحقوق الإنسان، وشجعها على الجمع بين دورها التقليدي كأم والمشاركة في الحياة العامة . ومن مواد الدستور التي تصب في مصلحة المرأة الإماراتية على سبيل المثال لا الحصر :

- **المادة 14**: من الدستور والتي تنص على «تكافؤ الفرص لجميع المواطنين من دعامات

المجتمع والتعاضد والتراحم صلة وثقى بينهم». وفي الشرح التفصيلي لهذه المادة بالدستور نجدها تؤكد على المساواة والعدالة الاجتماعية وتوفير الأمن والطمأنينة وتكافؤ الفرص لجميع المواطنين بغض النظر عن النوع والعمر والدخل والإمارة ، وكذلك القضاء على جميع أشكال التمييز العنصري وتمكين المرأة والشباب ، وحث جميع المواطنين على أهمية المشاركة السياسية .

- **المادة 17** : التعليم عامل أساسي لتقدم المجتمع وهو إلزامي لمرحلته الثانوية ، ومجاني في كل مراحله داخل الاتحاد .
- **المادة 35** : باب الوظائف العامة مفتوح لجميع المواطنين على أساس المساواة بينهم في الظروف، ووفقاً لأحكام القانون .
- **المادة 16**: يشمل المجتمع برعايته الطفولة والأمومة ويحمي القصر ، وغيرهم من الأشخاص العاجزين عن رعاية أنفسهم لسبب من الأسباب كالمرض أو العجز أو الشيخوخة أو البطالة الإجبارية ويتولى مساعدتهم وتأهيلهم لصالحهم وصالح المجتمع.

وتنفيذاً لنصوص الدستور فقد صدرت عدة قوانين وتشريعات للمحافظه على حقوق المرأة ومساعدتها على الانطلاق نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : الامتيازات التي حصلت عليها المرأة بقانون التوظيف ، وقانون العمل الذي نص على عدم جواز تشغيل المرأة ليلاً ، وعلى عدم تشغيلها في الأعمال الشاقة أو الخطيرة والضارة بها صحياً وأخلاقياً .[20] وكللت ثمرة هذه الجهود بظهور الاتحاد النسائي المعني بقضايا المرأة وفي هذا الصدد أصدرت دراسات عديدة أعدها الاتحاد عن المرأة منها على سبيل المثال لا الحصر : حول حقوق المرأة العاملة في دولة الإمارات العربية المتحدة[21] ، وموسوعة تشريعات المرأة في دولة الإمارات العربية المتحدة[22]، وغيرها كثير من الدرسات .

هذا بالإضافة إلى أنه عندما انضمت الإمارات العربية المتحدة إلى الأمم المتحدة سنة 1971، ألزمت نفسها بالإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر سنة 1948 ، وكذلك الكثير من الاتفاقيات لمنظمة العمل الدولية . واتفاقية السيداو، وهي الاتفاقية الدولية للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري الصادر سنة 1965 ، وذلك لإيمان القيادة السياسية ممثلة في الشيخ زايد وأعضاء المجلس الأعلى للاتحاد وشيوخ الإمارات بحقوق المرأة ، وبحقها في العيش بحرية وكرامة ، وتحقيق المساواة بينها وبين الرجل .[23]

2 - التعليم :

كان التعليم والثقافة على قائمة أولويات أجندة الشيخ زايد، لمدى وعيه وإدراكه لدورهما الخطير في بناء الحضارات ، فيقول الشيخ زايد : « إن العلم والثقافة أساس تقدم الأمة وأساس الحضارة وحجر الأساس في بناء الأمم ، إنه لولا التقدم العلمي لما كانت هناك حضارات ، ولا صناعة متقدمة أو زراعة تفي بحاجة المواطنين» . [24]

هذه قناعاته، ولكن في ظل مجتمع كانت فيه محرومة من الكثير من الحقوق، وتابعة للرجل، ومن الحقوق التي كانت المرأة محرومة منها حق التعليم. حيث كانت الأمية سائدة بين النساء، فقبل الاتحاد لم تستطع المرأة متابعة الدراسة بعد السن 12، حيث كانت تتعلم في الكتاتيب .

لذا قرر الشيخ زايد أن يخوض معركة تشجيع تعليم المرأة بنفسه لإيمانه أن الدور الأكبر في تربية الأبناء يقع على عاتق المرأة ، والمرأة المتعلمة خير من المرأة الجاهلة . فقام بزيارة الأسر لإقناع أولياء أمور الفتيات بإلحاق بناتهم بالمدارس ، وقام كذلك بصرف مكافأت شهرية لمن تذهب إلى المدرسة . وكل ذلك لإيمانه بدور المرأة في النهوض بالمجتمع وكان يعمل على تأهيلها لدخول معترك الحياة . [25]

ليس هذا فحسب بل كان من أجل مواجهة حجر العثرة الذي تقف أمامه في تعليم المرأة ألا وهو العادات والتقاليد ، لم يكتفِ بزيارة أولياء الأمور للفتيات بل بدأ يزور الفتيات بنفسه في المدارس ويخطب فيهن ويحثهن على التعليم ، وزد على ذلك بأنه قام بحملة إعلامية في جميع أجهزة إعلام أبوظبي كافة لشرح أهمية إلحاق الفتيات في المدارس . [26] كما حاول أن يكون قدوة لشعبه فبدأ بنفسه وأرسل بناته إلى المدارس لمتابعة دراستهن . وآزرته حرمه الشيخة فاطمة بتشجيع الفتيات على التعليم فتقول : «إن التعليم هو النافذة التي تطل منها المرأة على حضارة الأمم، وهو وسيلتنا لمواكبة مسيرة التطور والتقدم ، واستمرار النهوض بمجتمعنا».

وافتتحت أول مدرسة للبنات بالإمارات 1956 ، وكانت تضم ثلاثين تلميذة في فصل واحد وتتولى تعليمهن معلمة واحدة ليستمر التطور والإلحاح على عملية تعليم البنات ليصل عدد التلميذات 141467 عام 2006 موزعة على 329 مدرسة . واستمرت جهوده لإلحاق فتيات الإمارات بالتعليم العالي في البداية ، وكانت هناك العديد من الصعوبات نظراً لعدم وجود مؤسسات جامعية بدولة الإمارات . لذا كان الاعتماد على الجامعات العربية أو الجامعات الأوروبية أو

جامعات الولايات المتحدة الأمريكية . مما جعل نسب التحاق البنات قليلة جداً بسبب العادات والتقاليد . ولكن الأمر تغير بعد تأسيس أول جامعة بدولة الإمارات العربية المتحدة ألا وهي جامعة الإمارات سنة 1976 تليها جامعة زايد 1998 . [27] ، وغيرها من الجامعات التي توالت فيما بعد.

ولم يستهدف الشيخ زايد التطور الأفقي بالتوسع في إنشاء المدارس والجامعات فحسب ، بل رافق التطور الأفقي تطور في الكيف والنوع، إذ وافق مجلس الوزراء في 29 مارس 2004 على وثيقة مشروع تطوير التعليم الأساسي والثانوي التي تحدد الطرق والاستراتيجيات المعاصرة لتطوير التعليم المسماة « رؤية التعليم « والتي تمتد إلى عام 2020 . ويستمر قطار التعليم في تسارع مع الزمن لتصل اعتمادات التعليم العام والتعليم العالي في الميزانية العامة للدولة للعام 2004 إلى ستة مليارات وواحد وخمسون مليون درهم إماراتي لضمان تقديم أفضل الخدمات التعليمية . [28]

3 - العمل :

إذا كان التعليم هو السلاح الأول الذي أراد الشيخ زايد أن تتسلح به المرأة الإماراتية ، فالعمل هو السلاح الثاني لخوض معترك الحياة ، والمشاركة في تنمية ونهضة دولة الإمارات ، وكان هذا هدفه الرئيس فلا يمكن أن تتم تنمية حقيقية ونهضة وبناء حضارة يشار إليها بالبنان باستبعاد نصف المجتمع منها ، لذا اتبع السياسة نفسها ، فناضل وخاض حرباً أكثر شراسة لتشجيع النساء على الالتحاق بالعمل . فيقول الشيخ زايد في هذا الصدد : «إنني أتطلع بكل ثقة إلى أن تقوم المرأة في بلادنا بدورها في النهوض بالمجتمع كما عملت أخوات لها بالعالم العربي . وأن تكرس جهودها في بناء الوطن والمواطن في إطار تعليم ديننا الحنيف والتمسك بأحكامه» .

وفي موضع أخر يقول الشيخ زايد: « إنني أؤيد عمل المرأة ، إن ديننا الإسلامي الحنيف قد أيد ذلك . فما أيده الإسلام والرسول نؤيده . إنني أوافق على عمل المرأة في أي مكان تجد فيه احترامها ووقارها، وكل موقع عمل تجده مناسباً لها عليها ألا تتوانى عن العمل به» [29] ومن خلال خطاب زايد نجده مؤمناً إيماناً شديداً بعمل المرأة ، ولكنه على وعي شديد بالتيارات المحافظة شديدة التزمت التي ستقاوم رياح التغيير بكل ما أوتيت من قوة ، وقد تسول لها نفسها أن تستخدم سلاح الدين لضمان السيطرة والتأثير وإقناع الناس . ولكن كما سبقت الإشارة لحكمة الشيخ زايد وبصيرته وبعد نظره قطع على هذه التيارات كل الطرق . فمن خلال رفع سقف الوعي والتوعية المستمرة لأفراد مجتمعه وإقناعهم بأن قاطرة التغيير التي تسير بكل سرعة وإصرار على النهضة لن تسلك مسلكاً يخالف الشريعة الإسلامية مطلقاً ، لذا كان دوماً يؤكد أن عمل المرأة لا يخالف

الشريعة الإسلامية ، وعلينا أن نتخذ من أمهات المؤمنين قدوة في الدور التنويري الذي قمن به .

وكان الشيخ زايد على وعي بأن التيارات المحافظة المتزمتة ستلجأ لرفع شعار أن هذا التغيير من أجل التغريب والتبعية للغرب ، وفقدان هويتنا وأصالتنا . فدوماً كان هناك عقل يفكر ويستشرف المستقبل ويستشرف المشكلات التي يمكن أن تقع وكيف يمكن مواجهتها بكل يقظة وحكمة في الوقت نفسه. فكان الشيخ زايد دائماً يؤكد على رؤيته الحضارية التي تقوم على فلسفة الجمع بين الأصالة والمعاصرة ، وأنه لا يريد من المرأة الإماراتية أن تحاكي المرأة الغربية ، لأن هذه المحاكاه ستجعلها تقوم دائماً بدور التابع الذليل ، وهو لايريد هذه التبعية لأنها تعد الشكل الجديد للاستعمار الفكري الذي لا نشعر به بطريقة مباشرة مثل أشكال الاستعمار القديم . ذلك لأن استعمار النفوس والعقول أخطر بكثير من استعمار الأراضي والممتلكات. وهذا لا يعني أن ترفض المرأة الحضارة الغربية برمتها، ولكن عليها أن تأخذ منها ما يتماشى مع نسيج حضارتها وتراثها وشخصيتها القومية الأصيلة، ثم تضيف إليها من فكرها وأصالتها. [30] فهذا ما كان يريده زايد من المرأة الإماراتية.

لم يكن هذا الاهتمام كله الموجه من سمو الشيخ زايد لعمل المرأة لتشارك في نهضة المجتمع فحسب ، وإنما الأهم من ذلك فلسفته ورؤيته للعمل قيمة مهمة في حياة الإنسان ، تؤدي دوراً خطيراً في اكتمال شخصيته ونضجه فهو ضرورة للصحة النفسية للإنسان . لذلك نجد الشيخ زايد في إحدى خطبه يقول : « العلاج بالعمل هو أحدث الوسائل للقضاء على الأمراض النفسية ، والتغلب على المشاكل التي تعترض إنسان هذا العصر» . [31] إلى هذا الحد من الوعي والإدراك والسمو كان يفكر الشيخ زايد ، فكان يريد امرأة متصالحة مع نفسها ، وتتمتع ليس بالصحة الجسدية أو البدنية فحسب، بل بالصحة النفسية أيضاً ، لخطورة الدور الذي تؤديه في المجتمع بشكل عام ودورها في إعداد وتنشئة الأجيال بشكل خاص .

تشير بعض الدراسات إلى أنه بفضل هذه الجهود الجبارة من قبل الشيخ زايد بدأت المرأة الإماراتية في السبعينات سعيها لتحصيل العلم والمعرفة بخطوات حثيثة وبظمأ شديد ، وقد كانت شجاعة بما فيه الكفاية لدخول مجالات غريبة وجديدة عليها . وعلى الرغم من ذلك حطت المرأة الإماراتية خطوات واثقة لتشق طريقها في قطاعات هيمن عليها الرجل ، وأثبتت جدارة وقدرات تدعو إلى الفخر والإعجاب. وفي الثمانينات بلغت نسبة النساء 6،2 % من القوة العاملة في الإمارات ، واستمرت هذه النسبة في ارتفاع حتى وصلت حالياً لأكثر من 50 % . وهذا دليل قاطع

على أن المرأة الإماراتية وصلت إلى ما كانت تصبو إليه . وعلاوة على ذلك قررت نساء كثيرات التخلي عن الوظيفة والسعي وراء المشروعات التجارية الخاصة لتظهر على الساحة التجارية مشروعات تملكها وتديرها النساء ، وربما هي بذرة وضعها الشيخ زايد رحمه الله لدى المرأة الإماراتية وهو شغف التميز . [32]

4 - المرأة الإماراتية في مواقع صناعة واتخاذ القرار :

طموحات الشيخ زايد لا حدود لها لأبناء وطنه على وجه الإطلاق وللمرأة بشكل خاص ، فلم يكتفِ بخروج المرأة للتعليم والعمل وإنما كان يسعى إلى أن تحتل أعلى المناصب في الدولة لتشارك وعن جدارةٍ وبفاعلية الرجل داخل مؤسسات الدولة في صناعة واتخاذ القرار . وهذا يرتبط شديد الارتباط بالمفاهيم الراسخة لديه والتي سبقت الإشارة إلها، وتحديداً بمفهوم الديموقراطية. وفي هذا الصدد يقول الشيخ زايد : «إن للفتاة الحق في مجتمع الإمارات الدخول في جميع المجالات ولا سدود أمامها» ويقول في موضع آخر : «الرجل أخ للمرأة والمرأة أخت للرجل ليس هناك فرق بينهما إلا بالعمل .. العمل الطيب والعمل السيء هنا يكمن الفرق » . [33]

لذا بدأت المرأة الإماراتية تتبوّأ مواقع صناعة القرار بالدولة وفي أماكن مرموقة وحساسة في ذات الوقت ، نظراً للثقة الشديدة من قبل سمو الشيخ زايد في قدرات المرأة الإماراتية ، ففتح أمامها كل المجالات فلا يوجد مجال نستطيع أن نقول إنه حكر فقط على الرجل بدولة الإمارات حتى أكثر المناصب حساسية كالجيش والشرطة والقضاء والسلك الدبلوماسي، ومن ملامح هذه الثقة ما تم اتخاذه في الخطوات الآتية :

أ – عينت الإمارات العربية أول مرة في تاريخها سفيرتين ، وهما نجلاء محمد القاسمي في السويد، وحصة القتيبي في أسبانيا . [34]

ب – عينت أول وزيرة إماراتية سنة 2004 الشيخة لبنى القاسمي . [35]

ج – تم إنشاء جهاز الشرطة النسائية لتشارك خريجاته من النساء الرجال في تحمل التبعات في مختلف المجالات الحيوية والحساسة . [36]

د – تم تعين أستاذات جامعيات إماراتيات في جامعة الإمارات بالعين . [37]

و – تعين عضوات من النساء الإماراتيات بالمجلس الوطني الاتحادي . [38]

5 – الحرية الشخصية (حرية اختيار شريك الحياة ، الطلاق) :

لم يكن يعطي المجتمع الإماراتي القبلي الذي يتميز بالسلطة الأبوية مساحة لحرية المرأة ،

ولذلك نجد أنه قبل ظهور الدولة كانت مكانة المرأة ووضعها محدوداً للغاية في ظل المجتمع التقليدي القديم . ولم يكن هناك مجال أمام المرأة لاختيار شريك الحياة ، بل كان نظام الزواج في المجتمع القبلي زواجاً داخلياً من القبيلة ، وتحديداً من أبناء العمومه وفي حالة عدم توفر ذلك يتم اللجوء لأقارب مثل أبناء الخال . و ما يعنينا هنا أن المرأة لم تكن تتمتع بحرية اختيار شريك الحياة ، فكان يفرض عليها فرضاً ، ولا تستطيع المخالفة حتى لا تصطدم بالعرف والتقاليد . كما أنها عندما تتزوج كان لا يجوز لها على وجه الإطلاق المطالبة بالطلاق في حالة صعوبة التوافق ، لأن ذلك أيضاً يخالف العادات والتقاليد . لكن الثمرة الحقيقية لخروج المرأة للتعليم والعمل على يد الشيخ زايد هي منح المرأة الإماراتية قسطاً من الحرية ، وقدراً من المكانة الاجتماعية والنفوذ. فامرأة الأمس مختلفة تماماً عن امرأة اليوم، اليوم المرأة تستطيع أن تبدي رأيها في شريك الحياة أن تعترض في حالة عدم مناسبته لها . وفي القصة التالية تتضح لنا أبعاد الأبوة الحقيقية، والإنسانية ، والفهم الصحيح لناموس الزواج والحياة الزوجية لدى الشيخ زايد. والقصة كما رواها الرحالة تسيجر في كتابة رمال العرب هي :

ذات يوم من عام 1949 جاء إلى زايد في مجلسه بمدينة العين رجل يعرفه وقال له : يارب الأسرة إن ابنتي هربت من زوجها .. وجاءت عندي ، وهي لا تريد العودة إلى زوجها لأكثر من سبب.. أول هذه الأسباب أن الزوج يعاملها معاملة سيئة، ونحن نريد منه أن يطلقها . فقال الشيخ زايد: إن أبغض الحلال عند الله الطلاق .

فرد الرجل . ولكن لا مفر من ذلك فهو يعاملها معاملة سيئة ، وهي لا تريد العودة .

فسأل الشيخ زايد : وماذا قال الزوج

رد الرجل : وافق على الطلاق ، لكن وضع شرطاً أن نعيد إليه المهر الذي دفعه .

فاستدعى الشيخ زايد أحد أبنائه ليحضر الزوج . وحضر وناقش الشيخ زايد المشكله معه . ثم جمع أفراد الأسرتين في مجلسه ثم قال : إني أرى أن مطلب الزوج في رد المهر الذي دفعه مطلباً غير منصف . وأرى أن ترد الأسرة نصف المهر فقط . فارتضى الطرفان بالحكم [39] هذه القصة رويت على لسان أحد الرحالة ، لتعكس مصداقية الحدث، فبعض الناس قد يتصور أن حب المواطنين للشيخ زايد يجعلهم يألفون مثل هذه القصص، هذا من ناحية ، ومن ناحيه أخرى دلالة التوقيت وهو عام 1949 الذي وقعت فيه الأحداث تعكس سطوة السلطة الذكورية الأبوية آنذاك فكان المجتمع مجتمعاً قبلياً تقليدياً بكل معنى الكلمة ، ومع هذا لم يصر الشيخ زايد على أن تعود

الزوجة مرة أخرى لزوجها، ولم يقبل بشرط الزوج لأن به إجحافاً للزوجة ، فحكم بموضوعية بمنطق الأب، وليس بمنطق الأبوية الذكورية.

من هنا نجد أن الحقوق التي كان يسعى إليها الشيخ زايد للمرأة لم تكن حقوقاً في المجال العام التعليم ، والعمل ، والوصول لموقع اتخاذ القرار فحسب ، ولكن اهتم أيضاً بالحقوق التي تمارس على مستوى المجال الخاص وهي الأكثر أهمية وحساسية بالنسبة للمرأة والمجتمع الذكوري على حد سواء .

6 – إنشاء الجمعيات النسائية :

لم تقتصر جهود الشيخ زايد لتنمية ونهضة المرأة الإماراتية على التعليم والعمل والنفاذ إلى مواقع اتخاذ القرار والحرية الشخصية ...إلخ ، بل امتد أفقه إلى أبعد من ذلك ، بإنشاء جمعيات نسائية ، وذلك لقناعته بدور مؤسسات المجتمع المدني بشكل عام وما يمكن أن تلعبه في تنمية وتطوير المجتمع ، ودور مؤسسات المجتمع المدني المعنية بشؤون المرأة بشكل خاص لمتابعة قضاياها ومشكلاتها وتقييم ما تم إنجازه ، والتخطيط لما يجب عمله في المستقبل لتحقيق مزيد من الارتقاء والسمو بأوضاع المرأة الإماراتية ، لذا حظيت الجمعيات النسائية بالدعم المادي والمعنوي من قبل الشيخ زايد . وقد تأسست أول جمعية نسائية في دولة الإمارات في 8 فبراير 1973 ، وهي جمعية نهضة المرأة الظبيانية في أبوظبي بمساندة منه ، وبرئاسة الشيخة فاطمة (حرمه) . وكان هدف الجمعية النهوض بالمرأة ومساعدتها على الأخذ بأسباب النماء الشخصي والاجتماعي لتصبح قادرة على المشاركة في النهضة الوطنية . وسرعان ما تأسست في السنة نفسها والسنوات التالية جمعيات مماثلة ، أهمها على سبيل المثال لا الحصر :

أ – جمعية الاتحاد النسائي ، ومقرها الشارقة ، تأسست عام 1973 ، وتعمل هذه الجمعية على تهيئة الظروف لأعضائها للقيام بأنشطة ثقافية واجتماعية وخيرية .

ب – الجمعية النسائية بأم القوين ، تأسست في عام 1973 وتقوم بعدة أنشطة في المجال الاجتماعي والثقافي والفني والصحي .

ج – جمعية النهضة النسائية بدبي ، تأسست عام 1973 ، وتعمل على الدفع بالمرأة المتعلمة إلى تكثيف جهودها من أجل التوعية الاجتماعية .

د – جمعية أم المؤمنين النسائية ، مقرها عجمان ، تأسست عام 1974 وتقدم خدمات اجتماعية وخيرية متنوعة للمواطنين .

و – جمعية نهضة المرأة برأس الخيمة ، تأسست عام 1976 ، وتقوم بالرعاية الاجتماعية والثقافية والصحية والترفيهية للمرأة الإماراتية وأسرتها . [40]

وكان الشيخ زايد يتابع بنفسه الأنشطة والبرامج والاحتفالات التي تنظمها هذه الجمعيات . كما لا يجوز هنا أن ننسى الدور الرائد لسمو الشيخة فاطمة بنت مبارك الداعم لهذه المؤسسات النسائية ، والداعم أيضاً لتنمية ونهضة المرأة الإماراتية .

فكان دوماً يحاول أن يعطي النموذج أولاً لأبناء شعبه كأفضل الطرق وأقصرها في الإقناع فعندما بدأ – كما سبقت الإشارة – بإلحاق بناته إلى مؤسسات التعليم ليبدأ بنفسه ، وعندما سمح لزوجته الشيخة فاطمة بنت مبارك بدخول المجال العام والعمل به ، كان يحاول إقناع المواطن العادي فجميع المواطنين دائماً ينظرون إلى الحاكم على أنه النموذج أو القدرة التي يقتدي بها .

و يشير بعض المؤرخين إلى أن الشيخة فاطمة بنت مبارك تعد من أهم رائدات الحركة النسائية بالإمارات، ولقبت بأم الإمارات لأن اهتماماتها لم توجه نحو المرأة فحسب وإنما وجهت نحو جميع المواطنين بشكل عام .

استخلاصات عامة :

بعد عرض جهود الشيخ زايد في مجال تنمية المرأة الإماراتية ونصرتها ، نستطيع أن نؤكد أن ما تنعم به المرأة من حقوق ومكتسبات وإنجازات على جميع المستويات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية ما كان لها أن تتحقق دون قائد مستنير ومتفتح وراعٍ لمسيرة هذه الحركة. ليس هذا فحسب ولكن يتمتع بشخصية كاريزمية قوية شديدة البأس لتتصدى للقوة العاتية التي تقاوم وبضراوة رياح التغيير .

وهنا يكمن الفرق بين الزعامة التاريخية والزعامة الطارئة المفتعلة ، الأولى تعتمد على صلة الحب الحقيقي والفعلي الراسخ بين الزعيم وأبناء وطنه، والثانية تنطلق من الدور الإعلامي الذي يؤكد في كل لحظة مدى حب الجمهور لزعيمه .

وصناع التاريخ كانوا دائماً من رواد ممارسة الديموقراطية لأنهم يدركون جيداً أن الديموقراطية والحرية بكل أشكالها المشروعة من الدعائم الأساسية التي تنهض عليها صناعة التاريخ القومي الصحيح للأمة. لذا فالتاريخ يحمل في طياته قانوناً فهو لا يبخل على من صنعوه بتقديم كل آليات التبجيل والتقدير والتخليد ، لذلك تقوم الشعوب بتخليد زعمائها التاريخيين الذين أتاحوا الفرصة

لأجيالها المتتابعة لكي تعيش الحياة الكريمة اللائقة بإنسان العصر، فإن أقوى ذاكرة عرفتها البشرية هي ذاكرة التاريخ التي لا تنسى من وضعوا بصماتهم واضحة على صفحاته . [41]

فإنجازات الشيخ زايد تتحدث عنه في كل مكان بدولة الإمارات العربية المتحدة ليس في مجال المرأة فحسب ولكن في المجالات كافة ، هذه الإنجازات تمتد على المستوى الإقليمي بل والعالمي فأياديه البيضاء تمتد هنا وهناك لأنه كان يتمتع بشخصية تفيض سلاماً وحباً وخيراً وإنسانية للبشر كافة ، فلماذا لا يخلده التاريخ ؟

وإذا كانت دولة الإمارات العربية المتحدة حكومةً وشعباً تفتخر بما تحرزه نساء اليوم في عام 2018 ، وبعدد لا بأس به من الوزيرات بالحكومة ، وقاضيات بالمحاكم، وأساتذة جامعات، وقائدات طائرات، ورتب مرموقة بأجهزة الشرطة والجيش، وعضوات بالمجلس الاستشاري والمجلس الوطني. وإنشاء العديد من المؤسسات منها مؤخراً: لجنة لمتابعة إلغاء الفروق بين الجنسين، ...فكل هذه الإنجازات وغيرها لابد أن ترى على أنها حصاد لما زرعه زايد .

كما تشير الإحصاءات إلى أن دولة الإمارات العربية المتحدة من الدول الأوائل التي تتخرج فيها المرأة من الثانوية وتذهب بنسبة عالية إلى الجامعة تصل نسبتها إلى 90 % . كما تعد دولة الإمارات العربية المتحدة مقياساً لتطوير وضعية المرأة ومتابعة القوانين المدنية التي ترعى وتحمي المرأة وتضع لها حقوقها وواجباتها ، وبهذا أصبحت نموذجاً للتغيير رغم بطئه [42] . وساعد على هذا التغيير انتعاش الظروف الاقتصادية بالدولة، فمعدل النمو الاقتصادي بدولة الإمارات لعام 2014 بلغ 4،5 % ، وبلغ متوسط دخل الفرد في الإمارات للعام نفسه 42،9 ألف دولار أمريكي . [43]

وعلى صعيد التمكين السياسي للمرأة أجريت الانتخابات التشريعية للإمارات في 3 أكتوبر 2015 للمجلس الوطني الاتحادي فبلغ عدد المرشحين 330 مرشح منهم 74 مرشحة ، وفي 7 مارس أطلقت الشيخة فاطمة بنت مبارك رئيسة الاتحاد النسائي العام والرئيس الأعلى لمؤسسة التنمية الأسرية ورئيسة المجلس الأعلى للأمومة والطفولة « الاستراتيجية الوطنية لتمكين وريادة المرأة في دولة الإمارات العربية المتحدة 2015-2016 » استمرار لمسيرة جهود زايد. وفي 17 نوفمبر 2015 فازت الدكتورة أمل عبدالله القبيسي برئاسة المجلس الوطني الاتحادي بالتزكية ، وبذلك تَعدّ القبيسي أول سيدة في الوطن العربي تتولى رئاسة البرلمان . [44] و كانت دولة الإمارات الدولة الخليجية الأولى التي ترشح امرأة (د. رفيعة غباش) لرئاسة جامعة الخليج العربي ، وهي جامعة إقليمية تتناوب دول الخليج على رئاستها . كما عينت الدولة وزيرة للاقتصاد (الشيخة لبنى

القاسمي) ، ووزيرة للشؤون الاجتماعية (مريم الرومي)، وعدداً من الوكيلات المساعدات . [45] وفي الحكومة الأخيرة انشئت وزارة جديدة للسعادة تتولى المرأة رئاستها .

فإذا كانت الإمارات تسعى اليوم لتحقيق هدف وطني بإن تكون الإمارات أفضل دول العالم بحلول عام 2071 ، وتعمل حكومة الدولة اليوم على وضع السياسات المبتكرة المحفزة لاستقطاب المرأة وتعزيز دورها في صياغة مستقبل بلدها . هذا على المدى البعيد ، وعلى المدى القريب تسعى دولة الإمارات أن تكون ضمن أفضل الدول في مؤشر التوازن بين الجنسين بحلول عام 2021، فتعزيز جهود تمكين المرأة ستظل من الأولويات الوطنية ومن الأهداف الاستراتيجية للدولة . [46] حيث ويمثل ذلك، فهو ترجمة لفلسفة زايد وامتداد لنهج الأب المؤسس. وخير ما نختم به هذه الورقة مقولته المأثورة عن المرأة حيث يقول «الرجل كالشجرة والمرأة كالماء ، فبدون الماء لا يمكن أن تنمو الشجرة ، كذلك الرجل لا يمكن أن يبني حياته بدون عمل المرأة سواء في المنزل أو خارجه».

المراجع

1. النعيمي ، راشد عبدالله . (2015) : زايد من مدينة العين إلى رئاسة الاتحاد ، ط 5 ، دولة الإمارات العربية المتحدة ، دار كتاب للنشر والتوزيع ، ص 17 ، ص 21 ، ص 27 .
2. جاسم ، مرعي أحمد . (2018) : الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان ابن الصحراء ، ط 1 ، الأردن ، (عمان) ، الجنادرية للنشر والتوزيع ، ص ص 12 – 13 .
3. المدفعي يوسف محمد . (2015) : زايد الدولة والإنسان ، ط 1 ، دار الكتاب للنشر والتوزيع : دولة الإمارات العربية المتحدة ، ص ص 21 – 23 .
4. المرجع السابق ، ص 27 .
5. بن درويش ، فراس عزيز . (2018) : لمحات من أقوال زايد ، ط 7، مكتبة النافذة : الجيزة ، ص 10
6. راغب ، نبيل . (1995) : أصول الريادة الحضارية دراسة في فكر الشيخ زايد ، ط 1 ، منشورات المجمع الثقافي: أبوظبي ، ص ص 31 – 32 .
7. المدفعي ، يوسف محمد : مرجع سابق ، ص 24 .
8. المدفعي ، يوسف محمد : مرجع سابق ، ص ص 131–133 .
9. بن درويش ، فراس عزيز : مرجع سابق ، ص 5 ، ص 46 .
10. المدفعي ، يوسف محمد : مرجع سابق ، ص ص 123 – 125 .
11. السخيني ، أحمد على : مرجع سابق ، ص 37 ، ص 40 .

12. سنلبي ، محمد عبدالمنعم . (2006) : الدراسات المستقبلية العربية : لتقييم نقدي وتصورات مقترحة، شؤون اجتماعية ، ع 91 ، س 23 ، ص 106 ، ص 137 .

13. إبراهيم ، محمد عبدالحميد . (2005) : الاتجاهات المعاصرة في دراسة المستقبل ، رؤية سوسيولوجية، شؤون اجتماعية ، ع 85 ، س 22 .

14. جاسم ، مرعي أحمد : مرجع سابق ، ص 60 .

15. المدفعي ، يوسف محمد (2016) : زايد والإمارات بناء دولة الاتحاد ، دار الكتاب للنشر والتوزيع : الإمارات العربية المتحدة ، 2016 ، ص ص 93 – 94 .

16. محمد ، عبدالهادي . (2011) : أقوى 50 شخصية في الإمارات ، مركز الراية للنشر والإعلام : القاهرة ، ص 21 .

17. الصايغ ، فاطمة . (2000) : الإمارات العربية المتحدة من القبيلة إلى الدولة ، ط 1 ، دار الكتاب الجامعي : الإمارات العربية المتحدة ، ص 291 .

18. عباش ، حسين . (2008) : الإمارات والمستقبل وقضايا راهنة ، ط 1 ، دار الفارابي : بيروت .

19. السخيني ، أحمد على : مرجع سابق ، ص 135 .

20. المدفعي ، يوسف محمد . (2016) : زايد والإمارات بناء دولة الاتحاد ، دار الكتاب للنشر والتوزيع : الإمارات العربية المتحدة ، مرجع سابق ، ص ص 196 .

21. الاتحاد النسائي العام . (2014) : حقوق المرأة العاملة في دولة الإمارات العربية المتحدة ، دراسة تحليلية مقارنة، ط 1 ، الاتحاد النسائي العام : أبوظبي .

22. الاتحاد النسائي العام . (2014) : موسوعة تشريعات المرأة في دولة الإمارات العربية المتحدة ، ط 2 ، الاتحاد النسائي العام : أبوظبي .

23. جاسم ، مرعي أحمد : مرجع سابق ، ص 126 .

24. أسعيد ، محمد توهيل . شراب ، محمد . (2013) : مجتمع الإمارات ، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع: دولة الإمارات العربية المتحدة ، ص ص 100 – 101 .

25. حسين ، حسين سينو. العزي، سويم . (2015) : الشيخ زايد ودوره في نشوء وتطور دولة الإمارات العربية المتحدة، ط 1 ، مركز الكتاب الأكاديمي : عمان ، ص ص 158 – 159 .

26. راغب ، نبيل : مرجع سابق ، ص 253 .

27. المدفعي ، يوسف محمد . (2016) : زايد والإمارات بناء دولة الاتحاد ، دار الكتاب للنشر والتوزيع : الإمارات العربية المتحدة ، مرجع سابق ، ص ص 198 – 199 .

28. جاسم ، مرعي أحمد : مرجع سابق ، ص ص 117 – 118 .
29. راغب ، نبيل : مرجع سابق ، ص 256 .
30. المرجع السابق ، ص 257 .
31. محمد ، عبد الهادي : مرجع سابق ، ص 31 .
32. تريم ، عائشة . (2011) : في مواجهة اللامبالاة ، ط 1 ، دار الخليج ، الإمارات العربية المتحدة ، ص 97 – 98 .
33. بن درويش ، فراس عزيز : مرجع سابق ، ص 15 ، ص 56 .
34. جاسم ، مرعي أحمد : مرجع سابق ص 125 .
35. المرجع السابق ، ص 125 .
36. راغب ، نبيل : مرجع سابق ، ص 255 .
37. المرجع السابق ، ص 254 .
38. المدفعي ، يوسف محمد : مرجع سابق ، ص 202 .
39. النعيمي ، راشد عبدالله : مرجع سابق ، ص ص 63 – 64 .
40. المدفعي يوسف محمد : مرجع سابق ، ص ص 199 – 201 .
41. راغب ، نبيل : مرجع سابق ، ص 19 ، ص 21 .
42. كتاب الخليج . (2013) . الإعلام الخليجي وقضايا المجتمع . مركز الخليج للدراسات ، دار الخليج للصحافة والطباعة والنشر . الشارقة . دولة الإمارات العربية المتحدة .
43. التقرير الاقتصادي الخليجي (2015 – 2016) . (2016) . مركز الخليج للدراسات ، دار الخليج للصحافة والطباعة والنشر . الشارقة . دولة الإمارات العربية المتحدة .
44. تقرير التنمية البشرية لإمارة الشارقة التقرير الأول . (2011) . برنامج الأمم المتحدة الإنمائي . حكومة الشارقة . دولة الإمارات العربية المتحدة .
45. لوتاه، مريم. (2008) . في : ندوة الرؤية المستقبلية للمرأة في الإمارات . جمعية الاجتماعيين ، الشارقة ، دولة الإمارات العربية المتحدة .
46. المري ، منى غانم . (2018) ، قوة الاختبار ، مؤسسة دبي للمرأة ، حكومة دبي ، دبي بدولة الإمارات العربية المتحدة .

The role of Sheikh Zayed's efforts and policies in developing the status of Emirati women -

"Analytical vision"

Dr. Omaima Mohamed Abouelkheir •

Abstract

This study monitors and analyzes the vision and policies of Sheikh Zayed to empower the status of Emirati women. The study attempts to shed light on the close relationship between the vibrant cognitive enlightenment of Sheikh Zayed and his vision and strategies for emancipation and empowerment of Emirate women to contribute equally with men in the development and modernization of UAE. Thus the study focuses on the fundamental constituencies of Sheikh Zayed vision and philosophy that enabled him to such great achievements in recent history of UAE. The focus of the study will be on certain personality traits of Shaikh Zayed that impacted his vision, such as: humanity, happiness, justice, equality, democracy.

The study analyzed one of the important vision and policies regarding the development and empowerment of the status of women, which is now materialized such as, the constitutionalizing rights of women in various issues i.e., encouraging and motivating women to pursue all educational levels and work, women`s participation in the decision-making circles and the expansion of women`s associations and unions. The study reveals that many of the rights enjoyed by contemporary women, and even future strategies and plans targeting women, such as the UAE`s vision of the UAE as one of the best countries in the gender balance index by 2021, or the world`s best by 2071, This is a harvest of what Zayed planted yesterday, and in line with his approach and vision.

Keywords: UAE Women - Sheikh Zayed Al Nahyan - Women`s Development

• Department of Sociology - Faculty of Arts and Humanities and Social Sciences - University of Sharjah